بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ 27 رَبِيعِ الْآخِرِ 1448هـ

عِبَادَ اللهِ: أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى، فَهِيَ الْوِقَايَةُ مِنَ الشَّرِّ وَالْعَذَابِ، الْمُوصِلَةُ إِلَى الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ عِزَّةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَكَرَامَتَهَا بَعْدَ تَوْفِيقِ اللهِ لَهَا تَكْمُنُ فِي حِفْظِ أَمْنِهَا وَمُقَدَّرَاتِهَا، وَيَبْدَأُ ذَلِكَ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَالِاعْتِصَامِ بِالْحَقِّ. قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: أَيْ: ﴿وَأَعِدُّوا﴾ لِأَعْدَائِكُمُ الْكُفَّارِ السَّاعِينَ فِي هَلَاكِكُمْ، وَإِبْطَالِ دِينِكُمْ. ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أَيْ: كُلَّ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ وَأَنْوَاعِ الْأَسْلِحَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِمَّا يُعِينُ عَلَى قِتَالِهِمْ، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ أَنْوَاعُ الصِّنَاعَاتِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيهَا أَصْنَافُ الْأَسْلِحَةِ وَالْآلَاتِ، مِنَ الْمَدَافِعِ وَالرَّشَّاشَاتِ وَالْبَنَادِقِ، وَالطَّيَّارَاتِ الْجَوِّيَّةِ، وَالْمَرَاكِبِ الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ، وَالْحُصُونِ وَالْقِلَاعِ وَالْخَنَادِقِ، وَآلَاتِ الدِّفَاعِ، وَالرَّأْيِ وَالسِّيَاسَةِ الَّتِي بِهَا يَتَقَدَّمُ الْمُسْلِمُونَ، وَيَنْدَفِعُ عَنْهُمْ بِهِ شَرُّ أَعْدَائِهِمْ، وَتَعَلُّمِ الرَّمْيِ، وَالشَّجَاعَةِ وَالتَّدْبِيرِ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ: الِاسْتِعْدَادُ بِالْمَرَاكِبِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهَا عِنْدَ الْقِتَالِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، وَهَذِهِ الْعِلَّةُ مَوْجُودَةٌ فِيهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَهِيَ إِرْهَابُ الْأَعْدَاءِ، وَالْحُكْمُ يَدُورُ مَعَ عِلَّتِهِ.

فَإِذَا كَانَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ أَكْثَرَ إِرْهَابًا مِنْهَا، كَالسَّيَّارَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَالْهَوَائِيَّةِ، الْمُعَدَّةِ لِلْقِتَالِ، الَّتِي تَكُونُ النِّكَايَةُ فِيهَا أَشَدَّ، كَانَتْ مَأْمُورًا بِالِاسْتِعْدَادِ بِهَا، وَالسَّعْيِ لِتَحْصِيلِهَا، حَتَّى إِنَّهَا إِذَا لَمْ تُوجَدْ إِلَّا بِتَعَلُّمِ الصِّنَاعَةِ وَجَبَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: حَثَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ عَلَى الرَّمْيِ بِالسِّهَامِ وَالنِّبَالِ، وَكُلِّ مَا يُرْمَى بِهِ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ؛ لِمَا لَهُ مِنْ أَهَمِّيَّةٍ بَالِغَةٍ فِي قُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالدِّفَاعِ عَنِ الدِّينِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

الْأَوَّلُ: الرَّمْيُ مِنَ الْقُوَّةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ».

الثَّانِي: الْأَجْرُ الْعَظِيمُ لِكُلِّ سَهْمٍ يُرْمَى بِهِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَمْرِو ابْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَمَى الْعَدُوَّ بِسَهْمٍ، فَبَلَغَ سَهْمُهُ الْعَدُوَّ، أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، فَعَدْلُ رَقَبَةٍ».

الثَّالِثُ: التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنْ تَرْكِ الرَّمْيِ بَعْدَ تَعَلُّمِهِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ شَمَاسَةَ، أَنَّ فُقَيْمًا اللَّخْمِيَّ قَالَ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَرَضَيْنِ وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ، قَالَ عُقْبَةُ: لَوْلَا كَلَامٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ أُعَانِيهِ، قَالَ الْحَارِثُ: فَقُلْتُ لِابْنِ شَمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا» أَوْ «قَدْ عَصَى».

لَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى تَعَلُّمِ الرَّمْيِ، وَهُوَ مِنْ صُوَرِ الْقِتَالِ، بَلْ مِنْ أَهَمِّهَا، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَلَمَةَ ابْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ [أَيْ: يَتَرَامَوْنَ، وَيَتَسَابَقُونَ فِي الرَّمْيِ]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ» قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ؟»، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ».

عِبَادَ اللهِ: كُلُّ هَذِهِ النُّصُوصِ وَغَيْرُهَا فِي فَضْلِ تَعَلُّمِ الرَّمْيِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الرَّمْيِ خَاصَّةً لِأَسْبَابٍ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: إِصَابَةُ الْعَدُوِّ عَنْ بُعْدٍ. يُمَكِّنُ الرَّمْيُ الْمُجَاهِدَ مِنْ إِصَابَةِ عَدُوِّهِ، وَإِلْحَاقِ الْأَذَى بِهِ وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ؛ مِمَّا يُقَلِّلُ الْخَسَائِرَ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، بِخِلَافِ الْقِتَالِ الْمُبَاشِرِ، كَالْمُغَالَبَةِ بِالسَّيْفِ أَوِ الْيَدِ.

الثَّانِي: النِّكَايَةُ الْعَظِيمَةُ فِي الْعَدُوِّ: فَالسِّهَامُ وَالْأَسْلِحَةُ الْقَاذِفَةُ تُحْدِثُ أَثَرًا بَالِغًا وَإِرْهَابًا لِلْخَصْمِ، لَا تَتَوَفَّرُ بِنَفْسِ الدَّرَجَةِ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِ الْقِتَالِ الْأُخْرَى.

الثَّالِثُ: الْعَمَلُ فِي مُخْتَلَفِ الظُّرُوفِ وَالْمَوَاضِعِ. يَنْفَعُ الرَّمْيُ فِي حَالَاتِ السَّعَةِ وَالضِّيقِ، وَفِي حَالِ الْهُجُومِ أَوِ الدِّفَاعِ، وَحَتَّى فِي مَوَاضِعِ الْحِصَارِ، حَيْثُ يَصْعُبُ الِالْتِحَامُ الْمُبَاشِرُ.

الرَّابِعُ: رَفْعُ الرُّوحِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَإِرْهَابُ الْخَصْمِ. فَالرَّمْيُ يُلْقِي الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ، وَيُظْهِرُ جَاهِزِيَّةَ الْمُقَاتِلِينَ وَقُدْرَتَهُمْ عَلَى حِمَايَةِ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ. وَلَعَلِّي أَسُوقُ صُورَةً وَاحِدَةً مِنْ بُطُولَاتٍ لَا تُحْصَى مِنْ بُطُولَاتِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْأُولَى [أَيْ: صَلَاةُ الصُّبْحِ]، وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرْعَى بِذِي قَرَدٍ، قَالَ: فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ: غَطَفَانُ، قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ، يَا صَبَاحَاهْ، قَالَ: فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ [حَوَالَيْ: ثَلَاثَةَ عَشَرَ كِيلُو مِتْرًا]، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ بِذِي قَرَدٍ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ ... وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

[أَي: يَوْمُ هَلَاكِهِمْ وَهُمُ اللِّئَامُ]، فَأَرْتَجِزُ حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ»، قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: حَقُّ وَطَنِنَا عَلَيْنَا طَاعَةُ وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَعَدَمُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ، وَالْحِفَاظُ عَلَى أَمْنِ وَأَمَانِ الْوَطَنِ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ. وَأَنْ نَعْلَمَ أَنْ طَاعَتَهُمْ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَاجِبٌ مِنْ وَاجِبَاتِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنْ يَحْرِصَ كُلٌّ مِنَّا عَلَى وِحْدَةِ الصَّفِّ، وَجَمْعِ الْكَلِمَةِ، وَأَنْ يَكُونَ الْجَمِيعُ مُجَنَّدِينَ لِحِمَايَةِ الْبِلَادِ مِنْ كُلِّ مُخَطَّطٍ يَهْدِفُ لِلْإِضْرَارِ وَالْإِفْسَادِ. فَوَطَنُنَا يَجِبُ الْحِفَاظُ عَلَى أَمْنِهِ وَإِيمَانِهِ، وَسَلَامَتِهِ وَإِسْلَامِهِ، مِنْ كُلِّ مُخَرِّبٍ وَمُغَرِّبٍ، وَبِالْأَخَصِّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ الْعَصِيبَةِ، وَالتَّقَلُّبَاتِ الْأَمْنِيَّةِ، وَالِاسْتِثْنَاءَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، وَثَوْرَاتٍ مَا هَدَأَتْ، وَأَصْبَحَتْ نُذُرُ الْخَطَرِ وَالْإِنْذَارِ تَلُوحُ فِي الْأُفُقِ لَيْلَ نَهَارَ، مَا بَيْنَ مُبْتَدِعٍ يُخَطِّطُ وَيُؤَمِّلُ، وَنَاعِقٍ يَسْمَعُ وَيُحَرِّضُ، وَمُجْرِمٍ يَتَرَبَّصُ وَيَتَحَيَّنُ، فَالْحِفَاظُ عَلَى أَمْنِ الْبِلَادِ وَاسْتِقْرَارِهَا مِنْ طُوفَانِ الْفَوْضَى وَأَعَاصِيرِ التَّخْرِيبِ، لَهُوَ مِنْ أَوْلَى الْمُهِمَّاتِ فِي هَذِهِ الْأَزْمَاتِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ النَّاظِرَ فِي وَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، وَالْمُتَأَمِّلَ فِي الْأَحْدَاثِ الْجَارِيَةِ، لَيُدْرِكُ تَمَامَ الْإِدْرَاكِ صِدْقَ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ فِيمَا أَخْبَرَ، مِنْ تَدَاعِي الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ كَمَا يَتَدَاعَى الْجِيَاعُ إِلَى قَصْعَتِهِمْ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ [الْعِينَةُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّبَا]، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَهْمَا تَلَاحَقَتِ الْخُطُوبُ وَاشْتَدَّتْ، وَتَفَنَّنَ الْأَعْدَاءُ فِي أَسَالِيبِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، فَإِنَّنَا نُوقِنُ أَنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ، وَأَنَّ الْغَلَبَةَ فِي النِّهَايَةِ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ

يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ، وَقَالَ: صَحِيحٌ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ، وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ». وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ. وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ». وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ فَالْخَيْرُ فِي الْأُمَّةِ وَفِي أَبْنَائِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالنَّصْرُ قَرِيبٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»، وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي عِنَبَةَ الْخَوْلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ قَدْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ».

فَيَا كُلَّ مُحِبٍّ لِبَلَدِهِ وَأَهْلِهِ: عَقْلَكَ عَقْلَكَ، نَرْبَأُ بِكَ أَنْ تَكُونَ أَدَاةً تُحَرِّكُكَ أَيَادٍ تَقْبَعُ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ، أَيَادٍ لَا تَحْمِلُ رِسَالَةً عِلْمِيَّةً وَلَا دَعَوِيَّةً؛ وَإِنَّمَا رِسَالَةُ الْفَوْضَى وَالنِّكَايَةِ وَالتَّشَفِّي، نَرْبَأُ بِكَ أَخِي الْمُحِبَّ لِبَلَدِهِ أَنْ تَكُونَ شَرَارَةَ إِشْعَالِ الْفِتَنِ عَلَى مُجْتَمَعِكَ وَأَهْلِكَ وَبَيْتِكَ. **يَا كُلَّ مُحِبٍّ لِبَلَدِهِ:** لَا تَزْهَدْ وَلَا تَسْتَنْقِصْ نَصَائِحَ عُلَمَائِكَ، اسْتَمِعْ لِتَوْجِيهَاتِ مَنْ شَابَتْ رُؤُوسُهُمْ، وَحَنَّكَتْهُمُ التَّجَارِبُ، وَصَقَلَتْهُمُ الْأَيَّامُ.